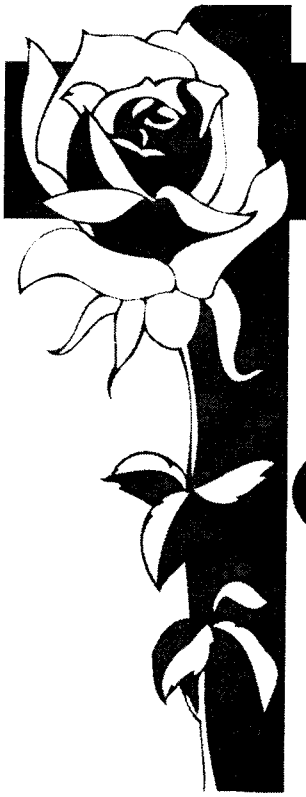

الفصل الخامس

النظرة الأولى لك
و
الثانية عليك

أمر الله على «العين والرأس!»

* المؤمنون والمؤمنات جميعا مأمورون بالغَضِّ من الأبصار ، و«**حفظ الفروج**» عما حرّم الله ! منذ قال الله لنبيه ﷺ :

﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ** ﴾ [النور: ٣٠، ٣١] .

* وفى خطبة الوداع نجد النبى ﷺ يقول :

«**اللهم إنى قد بلّغت .. اللهم فاشهد .. فليبلغْ الشاهدُ منكم الغائب**»[١] .

* ونظرًا إلى أن غضَّ البصر أصل لحفظ الفرج ، فقد بدأ بذكره .

* ونظرًا إلى أن تحريمَ «النظر» تحريمٌ للوسائل .. فإنه يباح للمصلحة الراجحة! ، ويحرم إذا خيف منه الفساد ، ولم يعارضه مصلحةٌ أرجح من تلك المفسدة .

ومن أجل هذا لم يأمر الله – سبحانه وتعالى – بغَضّه مطلقا ، بل أمر بالغَضِّ **منه !**

* أما «**حفظ الفرج**» فواجب بكل حال ، ولا يُباح إلا بحقه ، ولهذا عمم الأمرَ بحفظه .

* و«العين» مرآة القلب ، فإذا غضّ العبدُ بصرَه غضَّ القلبُ شهوتَه وإرادتَه . وإذا أطلق بصرَه أطلق القلبُ شهوتَه وإرادتَه .

* وفى الصحيح أن الفضل بن عباس – رضى الله عنهما – كان رديفَ رسولِ الله ﷺ يوم النحرِ من مزدلفة إلى منىً ، فمرّت ظُعُنٌ[٢] يجرين ، فطفق الفضل ينظر إليهن ، فحوّل رسول الله ﷺ رأسه إلى الشِّقِّ الآخر» .

(١) تاريخ الإسلام للذهبى . والسيرة لابن هشام .

(٢) ذكره البخارى ومسلم والترمذى وغيرهم . والظُّعن (بضم الظاء والعين) جمع ظعينة . والظعينة : الراحلة يرتحل عليها ، والهودج ، والزوجة ، والجمع أيضا ظعائن وأظعان . والرديف : من يركب خلف الراكب .

وفى هذا منع وإنكار بالفعل .

فلو كان النظر جائزا لأقَره ﷺ عليه .

* وفى الصحيح عنه ﷺ أنه قال : «إن الله – عزّ وجل – كتب على ابن آدم حظّه من الزنى أدرك ذلك لا محالة .

* **فالعينُ** : تزنى ، وزناها النَّظَرُ .

* **واللسانُ** : يزنى ، وزناه النُّطْق .

* **والرِّجل** : تزنى ، وزناها الخُطى .

* **واليد** : تزنى ، وزناها البطش .

* **والقلب** : يهوى ، ويتمنى ..

* **والفرج** : يُصَدّقُ ذلك أو يكذبه!»[1] .

ولقد بدأ ﷺ قوله بزنى «العين» لأنها أصل زنى اليد ، والرجل ، والقلب ، والفرج .

* ونبه – بزنى اللسان بالكلام – على زنى الفم بالقُبَل .

* وجعل الفرج مُصَدِّقا لذلك كلِّه إن حقق الفعل ، أو مكذبا له إن لم يحققه .

* وهذا الحديث من أَبْيَنِ الأشياء على أن العينَ تعصى بالنظر ، وأن ذلك زناها ؛ وفيه رد على من أباحَ النظر مطلقا !

* ولقد ثبت عنه ﷺ أنه قال : «**يا عليُّ لا تُتْبِعِ النظرةَ النظرةَ فإن لك الأولى ، وليست لك الثانية**»[2] .

* وفى مسند أحمد عن النبيِ ﷺ أنه قال : «**النظرةُ سهمٌ مسمومٌ من سهام إبليسَ ، فمنِ غضّ بصره عن محاسنِ امرأةٍ أورثَ اللهُ قلبَه حلاوةً يجَدها إلى يوم يَلقاه**»[3] . أو كما قال .

---

(١) قال الحافظ المنذرى ؛ وقد أورده بنحوه : رواه البخارى ومسلم باختصار ، والنسائى ، وأبو داود .

(٢) قال الحافظ المنذرى : رواه أحمد ، والترمذى ، وأبو داود .

(٣) قال الحافظ المنذرى : رواه مسلم ، وأبو داود ، والترمذى .

* وقال جرير بن عبد الله – رضي الله عنهما – : **سألت رسولَ الله ﷺ عن نظر الفجأة ، فأمرنى أن أصرف بصرى**»[1] .

و «**نظرة الفجأة**» : هي النظرة الأولى التى تقع بغير قصد من الناظر ، فما لم يعتمده القلب لا يعاقب عليه !

فإذا نظر الثانية تعمُّدا أثمَ ، فأمره النبى ﷺ عند نظرة الفجأة أن يصرف بصره ، ولا يستديم النظر ! ، فإن استدامته كتكريره .

الدواء الشافى لمن ابتلى بنظرة الفجأة !

وأرشد ﷺ من ابتُلى بنظرة الفجأة أن يداويه بإتيان امرأته ، وقال : «**إن معها مثل الذى معها**»[2] ، فإن فى ذلك التسلى عن المطلوب بجنسه .

أصل كل فتنة

* هذا ، وليعلم المسلم أن النظر أصل كل فتنة كما ثبت فى الصحيحين من حديث أسامة بن زيد – رضي الله عنهما – أن النبى ﷺ قال : «**ما تركت بعدى فتنةً أضرَّ على الرجال من النساء**»[3] .

* وفى صحيح مسلم من حديث أبى سعيد الخُدرى – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ : «**اتقوا الدنيا ، واتقوا النساء**» .

وفى غض البصر عدة فوائد[4] :

إحداها : تخليص القلب من ألم الحسرة ، فإن من أطلق نظره دامت حسرته ، فأضرُّ شيء على القلب إرسال البصر ؛ فإنه يريه ما يشتدُّ طلبه ، ولا صبر له عنه ، ولا وصول له إليه ، وذلك غاية ألمه وعذابه !

والنظرة تفعل فى القلب ما يفعل السهمُ فى الرمية ، فإن لم تقتلْه جرحته ،

---

(١) قال الحافظ المنذرى : رواه مسلم ، وأبو داود ، والترمذى .

(٢) الأمر بإتيان الأهل فى مثل هذه الحالة ورد فى أحاديث رواها أحمد ومسلم وأبو داود .

(٣) قال السيوطى : رواه البخارى ومسلم وأحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه .

(٤) كما يرى ابن القيم .

وهي بمنزلة الشرارة من النار فى الهشيم اليابس ؛ فإن لم تَحرقْه كُلَّه أحرقت بعضه كما قيل .

كل الحوادث مَبْداهَا من النظـــر ومُعْظَمُ النارِ من مُسْتَصْغَر الشـرر
كم نظرةٍ فتكَت فى قلب صاحبها فَتْكَ السِّهام بلا قوسٍ ولا وتـــر
والمرءُ مادام ذَاعَيْن يُقَلِّـــبها فى أعين الغيدِ[1] موقوفٌ على الخطر
يسرُّ مُقْلَتَهُ ماضر مُهْـــجَتَه لا مرحبًا بسرورٍ عاد بالضـــرر

الفائدة الثانية : أنه يورث القلبَ نورا وإشراقا يظهر فى العين وفى الوجه وفى الجوارح[2] ، كما أنّ إطلاق البصر يورثه ظلمةً تظهر فى وجهه وجوارحه.

الفائدة الثالثة : أنه يورث صحة الفِراسة ، فإنها من النور وثمراته ، وإذا استنار القلبُ صحت الفراسة !

الفائدة الرابعة : أنه يفتح له طريق العلم وأبوابه ، ويسهل عليه أبوابه ، وذلك بسبب نور القلب ، وفى ذلك يقول القائل :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدنى إلى ترك المعاصى
وأخبرنى بأن الـــعلم نورٌ ونورُ الله لايُهدَى لعاصـــى

فَرْضُ البَصَر

جاء فى «**رسالة المسترشدين**» للحارث المُحاسبى : واعلم أن حفظ الجواح فريضة ، وترك الفضول[3] فضيلة ، والتوبة قبل ذلك فريضة .

وقد جعل الله على كل جارحة أمرًا ونهيا فريضة منه ، وجعل بينهما سعة وإباحة تركها فضيلة للعبد .

ففرض البصر : الغضّ عن المحارم ، وترك التَّطلُّع فيما حُجِبَ وسُتِرَ .

---

(١) الغِيد : جمع غيداء . والمراد بهن الحسان الجميلات .

(٢) فالقلب ملك ، والأعضاء جنوده ، فإذا صلح القلب صلحت الرعية ، وإذا فسد القلب فسدت الرعية.

(١) الفضول : ما لا فائدة فيه ، يقال : هذا من فضول القول ، واشتغال المرء ، أو تدخله فيما لا يعنيه .

* قال حذيفةُ – رضى الله عنه – قال رسولُ الله ﷺ :

«**النَّظَرُ سَهْمٌ من سهامِ إبليسَ ، فمن تركه من خوف الله ، آتاه اللهُ إيمانًا يجدُ حلاوتَه فى قلبه**[1]» .

* وقال أبو الدرداء – رضى الله عنه :

* من غَضّ بصره عن النظر الحرام – زُوِّج من الحور العين حيث أحب .

* ومن اطَّلَع فوق بيوت الناس حشره الله يوم القيامة أعمى !

* وقال داود الطائى لرجل – وقد أحَدّ النظر إلى بعض من ينظر إليه :

يا هذا ، أُرْدُدْ بصرَك إلينا ؛ فإنه بلغنى أن الرجل يُسْأَل عن فُضول نظره ، كما يُسأل عن فضولِ عمله ، **ويقال له** : «**لك النظرةُ الأولى ، وليست لك الآخرةُ**» .

* فما هجم على النظر[2] فهو موضوع عن العبد .

* وما استبدّ به النظر بمعقول الفهم[3] ، فالعبد مأخوذ به .

توجيه الأنظار إلى الكون المادى

هذا الكونُ المادّى مبسوط أمام الإنسان تدركه حواسّه مباشرة بالعين ، والأذن، والشم ، والذوق واللمس ، أو تدركه بواسطة الآلات المقرّبة والمكبرة والمجسّمة .

وقد استغل الإسلام ما تدركه الحواس استغلالا ضخما فى تربية القلب البشرى ، وربطه بالله !

استغله حين وجه الأنظار إلى «**الكون المادى**» لتُبصرَ فيه يد الله القادرة المبدعة الصَّنَّاع[4] ..

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك .

(٢) ما هجم على النظر : ما فوجئ الإنسان به : والمراد : النظرة الأولى التى تقع بغير قصد من الناظر، ولا استدامة لها .

(٣) ما تمعن الإنسان فيه بإرادته ورغبته . والمراد : النظرة الثانية المتعمدة . هذا ، واستدامة النظر كتكراره .

(٤) الصَّنَّاع : المتقنة المبدعة .

استغل الحواس كلها فى هذا الأمر .. العين ، والأذن ، والشم ، والذوق ، واللمس .

ووَجَّه العينَ للإبصار : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ [الرعد : ٢] .

﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) ﴾ [الغاشية : ١٧ - ٢٠] .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ (٤٣) ﴾ [النور : ٤٣] .

﴿ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴾ [الأنعام : ٩٩] .

والكون كتاب مفتوح كله دلائل وشواهد على عظمة الله وقدرته ، وعظيم صنعه !

فكيف يعُصَى الله ، وهو الذى يحبنا ونحبه ؟!

لو كان حبُّك صادقا لأطعته

إن المحب لمن يحب مُطيع !

شواهد الإيمان

كتب الحُصْرى القيروانى فى «زهر الآداب» تحت هذا العنوان يقول :

* قال بعض الخطباء : أشهد أن فى السموات والأرض آياتٍ ودلالاتٍ ، وشواهدَ قائماتٍ ، كل يؤدى عنك الحجة ، ويشهد لك بالربوبية .

* ونظيره قول «أبى العتاهية» ، وروى أنه جلس فى دكان وراق وأخذ كتابا فكتب على ظهره :

فَواعجبًا كيف يُعصى المليك ... أم كيف يجحده الجَاحِدُ ؟!

ولِلهِ فى كلِّ تحـــــريكةٍ ... وتسكينةٍ فى الورى شاهـد !

وفى كل شىء له آيـــــة تدلُّ على أنه الواحِـــــدُ !

وانصرف فاجتاز أبو نُواسٍ بالموضع ، فرأى الأبيات ، فقال لمن هذا ؟ فلَوددْتها لى بجميع شعرى ؟!

فقيل لإسماعيل بن القاسم ، فوقّع تحتها :

سبحان مَنْ خلَق الخَلْـــــــــــــــقَ من ضعيفٍ مَهِين

فصاغه من قـــــــرارٍ إلى قرارٍ مكيـــــــــن

يَحولُ شيئاً فشيئـــــــا فى الحُجْبِ دُونَ العُيـــون

حتى بدت حركـــــاتٌ مخلوقة من سكـــــون !

فسبحان الخالق البارئ المصور ، الذى خلق فسوى وفضل الإنسان على جميع من خلق تفضيلا .. وقد قال العالمون :

إن الوجه أجمل ما فى الإنسان ، وأجمل ما فى الوجوه العيون !

ومن يكفها عن الحرام يهبه الله فراسة صادقة ! ألا وهى فراسة المتوسمين ..

فراسة المتوسمين

لقد أثنى الله – سبحانه وتعالى – على فراسة المتوسمين ، وأخبر أنهم هم الذين ينتفعون بالآيات ، وذلك فى قوله تعالى :

﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ** (٧٥) ﴾ [**الحجر** : ٧٥] .

ومن يكف بصره عن محارم الله يهبه الله فراسة المؤمن الذى يرى بنور الله !

وروى الطبرانى والترمذى «**اتقوا فراسة المؤمن ؛ فإنه ينظر بنور الله**» .

ومن فراسة المؤمن ما روى : أن رجلا دخل على عثمان بن عفان – رضى الله عنه – فقال له عثمان : يدخل علىّ أحدكم والزنا فى عينيه !

فقال الرجل : أوحْىٌ بعد رسول الله ﷺ ؟!

فقال سيدنا عثمان : لا ، ولكن فِراسة صادقة !!

من المسئول : العين أم القلب؟

* ذكر العلامة «**ابن القيم**» فى كتابه : «**روضة المحبين**» مناظرة بارعة بين «**العين والقلب**» ، لاَم فيها كلٌّ منهما صاحبَه ، وجرى التحكيم بينهما ، ولم أجد بدّا من ذكرها كاملة لما فيها من العِظة والاعتبار ، والطرافة ، وجمال العرض ! حيث يقول :

ولَمّا كانت «العينُ» رائدةً ، و «القلبُ» باعثًا وطالبا .. وهذه لها لذةُ الرؤية.. وهذا له لذة الظَّفر – كانا فى الهوى شريكىْ عنان[1] .

ولَمّا وقعا فى العَناء ، واشتركا فى البلاء – أقبلَ كل منهما يلوم صاحبَه ، ويعاتبه !

القلب يتهم العين

فقال القلب للعين :

أنت التى سُقتنِى إلى موارد الهَلَكَات ، وأوقعتنِى فى الحسرات ! بمتابعتِك اللَّحظات[2] .

ونزّهت طرفَك فى تلك الرياض ، وطلبت الشفاء من الحدَقِ المِراض ، وخالفت قول أحكم الحاكمين : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ٣٠] .

وقول رسوله ﷺ : «**النظرُ إلى المرأة سَهْم مَسْمُومٌ من سهام إبليسَ فمن تركَه من خوفِ الله – عزّ وجل – أثابه الله إيمانا يجد حلاوتَه فى قلبه**»

[رواه الإمام أحمد] .

وقال على بن أبى طالب – رضى الله عنه – قال :

قال رسولِ الله ﷺ : «**نظَرُ الرجلِ فى مَحَاسنِ المرأة سَهمٌ من سهامِ إبليسَ مسموم ، فمَن أعرض عن ذلك السَهم أعقبه اَللهُ عبادَةً تسرُّه**» .

---

(١) أى اشتركا على السواء . والعِنان : سير اللجام الذى تمسك به الدابة وهما طاقان مستويان .

(٢) اللحظات : النظرات .

فمَنِ المَلُومُ سوَى مَنْ رَمَى صاحبَه بالسهم المسموم ؟! أوَ مَا عَلِمْتِ أنه ليس شَيْءٌ أضرَّ على الإنسان من العينِ واللسان ؟

فمَا عَطِبَ أكثرُ من عَطِبَ إلا بهما !

وما هلكَ أكثر من هَلَكَ إلا بسببهما !

فللّه كم من مَوْرِدٍ هَلَكَةٍ أهْلَكاه ، ومَصْدَرٍ رَدَّى عنه أصدراه !

فمن أحبّ أن يحيا سعيداً ، أو يعيش حميداً ؛ فَلْيغُضّ من عنان طَرْفه ولِسَانه[1] ليَسْلَمَ من الضرر ؛ فإنه كامنٌ فى فُضول الكلام ، وفضول النظَر[2] !

وقد صرح الصادق المصدوق بأنّ العينين تزنيان ، وهما أصل زنا الفرج ؛ فإنهما له رائدان ، وإليه داعيان .

وقد سئل ﷺ عن «**نظرة الفجأة**» ؛ فأمر السائل أن يصْرِفَ بصَره ، فأرشده إلى ما ينفعه ، ويدفع عنه ضرره .

* وقال لابن عمه «على» – رضى الله عنه – محذّرا له مما يوقع فى الفتنة ، ويورث الحسرة : «**لا تُتْبِعِ النظرَةَ النظرةَ**» .

* أو ما سمعت قول العقلاء : «**من سرّح ناظره أتعب خاطرَه ، ومن كثُرتْ لحظاتُه دامت حسراتُه ، وضاعت عليه أوقاتُه ، وفاضت عبراتُه**»[3] .

وقول الناظم :

نظرُ العُيُونِ إلى العُيونِ هو الذى

جعل الهلاك إلى الفؤادِ سبيلاَ

مازالتِ اللحظاتُ تغزو قلبه ..

حتى تشحّط[4] بينهن قتيلا

---

(١) فيكفهما ، ولا يرخى لهما العنان .

(٢) الفضول : مالا فائدة فيه ، واشتغال المرء أو تدخله فيما لا يعنيه ؛ يقال : هذا من فضول القول أو العمل وقد سبق .

(٣) العبرات جمع عبرة ، وهى الدمعة فى العين قبل أن تفيض وتسيل !

(٤) تشحّط : اضطرب فى دمه ، وتقلب .

وقال آخر :

تمتعتما يا مُقْلَتَىّ بنَظْرَةٍ

وأوردتما قلبى أمَرَّ الموارِدِ

أعينَىَّ كُفَّا عن فُؤادى فإنه

مِنَ الظُّلْمِ سَعْىُ اثنين فى قَتلِ واحدِ

العين تدافع عن نفسها وتوجه الاتهام إلى القلب

قالت العين :

ظلمتَنى أوّلاً وآخراً ... وبؤتَ[1] بإثمى باطنًا وظاهراً ، وما أنا إلا رسولُك الداعى إليك ، ورائدُك الدالّ عليك ..

وإذا بعثتَ برائدٍ نحوَ الذى

تهوَى وتُعْتِبُهُ ظلمتَ الرائد !

فأنت الملك المطاع ، ونحن الجنودُ والأتباع !

أركبتنى فى حاجتك خيلَ البريد ، ثم أقبلت علىّ بالتهديد والوعيد ، فلو أمرتنى أن أغلق بابى ، وأرخى علىّ حجابى ، لسمعت وأطعت ، ولمارعيت فى الحمى ورتعت .

أرسلتنى لصيد قد نُصبَتْ لك حبائلُه وشراكه ، واستدارت حولك فخاخُه ، وشباكه ، فغدوت أسيراً بعد أن كنت أميراً ، وأصبحت مملوكا بعد أن كنت مليكا .

هذا وقد حكم لى عليك سيد الأنام ، وأعدل الحكام ﷺ حيث يقول :

«إن فى الجسد مضغةً إذا صلحت صلح الجسم كله ، وإذا فسدت فسد الجسدُ كلُّه ألا وهى القلب»[2] .

---

(١) وبؤت بإثمى : رجعت .

(٢) مسلم فى صحيحه كتاب المساقاة ٢ / ١٠٧ ، و ابن ماجة باب الفتن ١٤ / ٣٩٨٤ .

وروى عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قوله ﷺ : «**القلب ملك والأعضاءُ جنوده ، فإن طاب الملك طابت جنوده ، وإذا خبث الملك خبثت جنوده**»(١)

ولو أنعمت النظر لعلمت أن فساد رعيتك بفسادك ، وصلاحَها ورشدها رشادك .

ولكنك هلكت وأهلكت رعيتك ، وحملت على العين الضعيفة خطيئتك . وأصل بليتك أنه خلا منك حب الله ، وحب ذكره ، وكلامه وأسمائه ، وصفاته ، وأقبلت على غيره ، وأعرضت عنه ، وتعوضت بحب من سواه ، والرغبة فيه منه .

هذا .. وقد سمعت ما قص عليك من إنكاره – سبحانه وتعالى – على بنى إسرائيل استبدالهم طعامًا بطعام أدنى منه ، فذمهم على ذلك ونعاه عليهم ، فقال سبحانه : ﴿ **أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ** ﴾ [**البقرة** : ٦١] .

فكيف بمن استبدل بمحبة خالقه وفاطره ، ووليه ومالك أمره ، الذى لاصلاح له ولا فلاح ، ولا نعيم ولا سرور ، ولا فرحة ولا نجاة ، إلا بأن يوحده فى الحب ، ويكون أحب إليه مما سواه ، فانظر بالله من استبدلت ؟ وبمحبة من تعوضت ؟

رضيت لنفسك بالحبس فى الحشى ، وقلوب محبيه تجول حول العرش ، فلو أقبلت عليه ، وأعرضت عمن سواه لرأيت العجائب ، ولأمنت من المتالف والمعاطب !

أو ما علمت أنه خص بالفوز والنعيم من أتاه بقلب سليم ؛ أى : سليم مما سواه ، ليس فيه غير حبه ، واتباع رضاه .

وبين ذنبى وذنبك كما بين عماى وعماك فى القياس ، وقد قال من بيده أزمّة الأمور : ﴿ **فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** (٤٦) ﴾ [**الحج** : ٤٦] .

---

(١) – أورده المتقى الهندى فى «كنز العمال» ١ / ١٢٠٥ وعزاه للبيهقى فى شعب الإيمان .

تدخُّل الكبد للحكم بينهما

وهنا يتدخل «**ابن قيم الجوزية**» فيصور الكبد حكما بين القلب والعين فيقول:

فلما سمعت الكبد تحاورهما الكلام ، وتناولهما الخصام ، قالت :

أنتما على هلاكى تَساعَدْتما ، وعلى قتلى تَعاوَنْتُما ، ولقد أنصف من حكى مناظرتكما ، وعلى لسانى متظلّما منكما ؟

يقول طَرْفى لِقلْبى : هِجْتَ لى سَقَمًا
والعينُ تَزْعُمُ : أن القلبَ أنكاها
والجِسمُ يشهدُ أن العينَ كاذبةٌ
وهْىَ التى هَيّجَتْ للقلْبِ بَلْواها
لولا العيونُ وما يَجنين من سقَمٍ
ما كنْتُ مُطّرَحًا من بعضِ قتلاها
فقالت الكبد المظلومة : اتّئِدَا
قطّعْتُمانى وما راقبتما اللهَ

وقال آخر :

يقول قلبى لطرفى إن بكى جَزِعًا :
تبكى وأنت الذى حملتنى الوجعا ؟!
فقال طرفى له يعاتبه :
بلْ أنت حَمّلتنى الآمالَ والطّمعا
حتى إذا ما خلا بصاحبه
كلاهما بطويل السقْم قد قنعا
نادتهما كبدى : لا تبعدا فلقد
قطعتمانى بما لاقيتما قِطَعَا

* وقال آخر :

عاتبتُ قلبىَ لَـــــمّا رأيتُ جسمى نَحيَـــلا
فألزم القـــلبُ طرفى وقال : كنتَ الرَّســـولا
فقال طرفى لـقلبى : بل كنتَ أنتَ الدليـــلا
فقلتُ : كُفّا جميعا تركتمـــانى قتيـــــلا !

ثم قالت : أنا أتولى الحكم بينكما ، أنتما فى البلية شريكا عنان ، كما أنكما فى اللذة فرسا رهان :

فالعين تلتَذّ ، والقلبُ يتمنى ويشتهى ، ولهذا قال فيكما القائل :

ولما سلوت الحبَّ بشّـــــر ناظرك
قلبى ، فقال القلب : لى ولك الهنا
تخلصتَ من إحيـاء ليلِك ساهراً
وخلصتنى من لوعة الهجر والضنا
كِلانا مُهنّى بالبقاء فإن تعد
فلا أنت يُبقيك الغرامُ ولا أنا

وإن لم تدرككما عناية مقلب القلوب والأبصار ، وإلا فمالكِ من قُرَّةٍ ، ولا للقلب من قرار ، قال الشاعر :

فـوالله مـا أدرى أنفسى ألومهـا
على الحبِّ، أم عينى المشومة، أم قلبى؟
فإن لمتُ قلبى ، قال لى : العين أبصرت
وإن لمت عينى قالت : الذنبُ للقلب !
فعينى وقلبى قد تقاسَمَا دمى
فياربّ كن عونا لى على العين والقلب

قالت : ولما سقيت القلب ماء المحبة بكئوسك ، أوقدت عليه نار الشوق ،

فارتفع إليك البخار ، فتقاطر منك ، فشرقت بشربه أولا ، وشرقْتَ بحر ناره ثانيا.
قال :

خذى بيدى ، ثم اكشفى الثوب فانظرى
ضَنَى جـســمى ، لكننى أَتَسَـتَّـرُ
وليس الذى يجـرى من العين مـاؤها
ولكنهـــا روح تذوب فـــتَـــقْطُرُ

قالت : والحاكم بينكما الذى يحكم بين الروح والجسد إذا اختصما بين يديه ؛ فإن فى الأثر المشهور :

«لا تزال الخصومة يوم القيامة بين الخلائق حتى تختصم الروح والجسد ، فيقول الجسد للروح :

أنت الذى حركتنى ، وأمرتنى ، وصرفتنى ، وإلا فأنا لم أكن أتحرك ، ولا أفعل بدونك !

فتقول الروح له : وأنت الذى أكلت وشربت ، وباشرت وتنعمت ؛ فأنت الذى تستحق العقوبة ، فيرسل الله – سبحانه إليهما ملَكا يحكم بينهما ، فيقول:

مَثَلُكما مَثَلُ مُقْعَدٍ بصير ، وأعمى يمشىَ ، دخلا بستانا ، فقال المقعد للأعمى : أنا أرى ما فيه من الثمار ، ولكن لا أستطيع القيام !

وقال الأعمى : أنا أستطيع القيام ، ولكن لا أُبصر شيئا !

فقال له المقعد : تعال فاحملنى ، وأنت تمشى ، وأنا أتناول الثمر .

فعَلَى من تكون العقوبة ؟ فيقول : عليهما ! فيقال : فكذلك أنتما» .

وقانا الله ، وحفظ جوارحنا ، وأنار بصرنا وبصيرتنا إنه سميع قريب مجيب الدعاء .

وبعد .. فلم يكن بدمن ذكر خاتمة تتضمن بحثا لغويا عن العين فى اللغة والقرآن الكريم والحديث الشريف حتى تعم الفائدة وتقَرّأعين القراء ، وينعم الباحثون والأدباء !

بحث لغوى عن

العيد

فى اللغة والقرآن والحديث

صفحات من كتب اللغة :

العين

واستعمالاتها في اللغة كما في المعجم الوسيط

(١) «العين» : عضو الإبصار للإنسان وغيره من الحيوان .

(٢) وَينبوع الماء ينبع من الأرض ويجرى ، وفى التنزيل العزيز : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الرحمن : ٥٠] والجمع : أعينٌ وعُيون .

(٣) وأهل البلد .

(٤) وأهل الدار .

(٥) والجاسوس .

(٦) ورئيس الجيش .

(٧) وطليعة الجيش .

(٨) وكبير القوم وشريفُهم .

(٩) وذاتُ الشيء ونفسُه ؛ يقال : هو هو عينا ، أو بعينه ، وجاء محمد عينه .

(١٠) وما ضُرب نقداً من الدنانير ؛ يقال : اشتريت بالعين لا بالدين ، والجمع : أعيان .

(١١) والحاضر من كل شيء ؛ يقال : بعتُه عَيْناً بعين : حاضراً بحاضر ؛ وفى المثل : «**لا تطلب أثراً بعد عين**» :

يضرب لمن ترك شيئاً يراه ، ثم تبع أثرَه؛ بعد فوته !

(١٢) والنفيس من كل شيء ؛ يقال : هذه القصيدة من عيون الشعر !

تعبيرات لها معانيها

يقال :

١ – هو عبدُ عَيْنٍ ، وصديق عينٍ : يخدُم ويصادق ما دمت تراه بعينك ، فإذا غبت فلا !

٢ – ويقال : فعَله على عين ، وعلى عَيْنَيْن ، وعلى عَمدِ عَيْنٍ ، وعلى عمد عينين : تعمَّده بجدٍّ ويقين .

٣ – ويقال : نعِم بك عَيْنا : أقرَّبك عينَ من تُحبُّه ، أو أقرّ عينَك بمن تحبه .

٤ – ويقال : لقيتُه أول عين : أول شيءٍ .

٥ – وأنت علي عيني : فى الإكرام والحفظ ؛ وفى التنزيل العزيز : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ [طه : ٣٩] ؛ لتُربّى مَكْلُوءاً بعنايتى وحِفظى .

٦ – ولقيته عينَ عُنّةٍ : لقيتَه عِيانا ، ولم يرَكَ .

٧ – و«عين الجمل» : الجوز [على التشبيه] . مُولّد .

٨ – و«عين السمكة» : (فى أمراض الجلد) غلَظ فى صلابة ، يكون فى الجلد من ضغط ، أو احتكاك ؛ كما يحدث فى أصابع القدم من ضغط الحذاء .

٩ – و«العُيون» : الشديد الإصابة بالعين . (الحسود) .

١٠ – و«المِعْيان» مثل العُيون . (الحَسُود) .

١١ – والعَيِّنُ من الرجال : السريع البكاء .

١٢ – والأعيَنُ والعَيناء : من اتسعت عينُه وحسنت ، والجمع عِينٌ ، وفى الكتاب العزيز : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الواقعة : ٢٢] .

العَيْنُ فى فقه اللغة

كما جاء عن أبى منصور الثعالبى

(١) ما جاء فى فقه اللغة عن الحاجب .

(٢) ما جاء فى فقه اللغة عن محاسن العين .

(٣) ما جاء فى فقه اللغة عن مَعَايب العين .

(٤) ما جاء فى فقه اللغة عن عوارض العين .

(٥) ما جاء فى فقه اللغة عن تفصيل كيفية النظر وهيئاته فى اختلاف أحواله .

(٦) ما جاء فى فقه اللغة عن أدواء العين (أمراضها) .

(٧) ما جاء فى فقه اللغة مما يناسب أدواء العين .

(٨) ما جاء فى فقه اللغة فى ترتيب البكاء .

(٩) فى وقوع اسم واحد على أشياء مختلفة .

(١) ما جاء فى فقه اللغة عن الحاجب

* من «**محاسنه**» : الزَّجَجُ ، والبَلَج .

* ومن «**معائبه**» القَرَنُ ، والزَّبَبُ ، والمعَط .

فأمّا **الزّجَجُ** ؛ فدِقّةُ الحاجبين ، وامتدادهما حتى كأنهما خُطَّا بقلَم .

وأما **البَلَجُ** ؛ فهو أن تكونَ بينهما فُرْجَةٌ ، والعرب تستحب ذلك ، وتكرَهُ **القَرَن** ، وهو اتصالهما .

والزَّبَبُ : كثرةُ شَعْرِهما .

أما المعَط : فهو تساقط الشعر عن بعض أجزائهما .

(٢) ما جاء فى فقه اللغة عن محاسن العين

من الصفات المستحسنة فى العين .

* **الدّعَج** : وهو أن تكون العين شديدةَ السواد مع سَعَة المُقْلة .

* **والبرَج** : وهو شدة سوادها مع شدة بياضها .

* **النّجَل** : سعتها .

* **الكَحَل** : سواد جفونها من غير كُحْل .

* **الحَوَر** : اتساعُ سوادها كَهُوَ فى أعين الظباء .

* **الوَطَف** : طولُ أشفارها ، وتمامها ، وفى الحديث :

«**أنه ﷺ كان فى أشفاره وطف**[1]» .

* **الشُّهْلة** : حُمرة فى سوادها .

(٣) ما جاء فى فقه اللغة عن معائب العين

* **الحَوَصُ** : ضيقُ العينين .

* **الخَوَصُ** : غُئورهما مع الضيق .

* **الشَّتَر** : انقلابُ الجَفْن .

* **العَمَشُ** : أن لا تزال العينُ تسيلُ وترمَص .

* **الكَمَش** : أن لا يكاد يُبصر .

* **الغَطَش** : شبه العمش .

* **الشَّوَص** : أن ينظر بإحدى عينيه ، ويُميل وجهه فى شق العين التى يريد أن ينظر بها .

* **الخفَش** : صِغَر العينين ، وضعف البصر ، ويقال : إنه فساد فى العين يضيق له الجفن من غير وجع ، ولا قَرْح .

* **الدّوَش** : ضيق العين وفساد البصر .

(١) ذكره ابن الأثير فى النهاية نقلا عن الهروى .

* **الإطراق** : استرخاء الجفون .

* **الجُحوظ** : خروج المُقلة وظهورها من الحِجَاج .

* **البخَق** : أن يذهبَ البصر والعين منتفخة .

* **الكمَهُ** : أن يولَدَ الإنسان أعمى .

* **البخَص** : أن يكون فوق العينين أو تحتهما لحم ناتئ .

(٤) ما جاء في فقه اللغة عن عوارض العين

* يقال : حَسِرَت عينهُ ؛ إذا اعتراها كَلاَل من طول النظر إلى الشيء .

* ويقال : زرّت عينه ؛ إذا توقدت من خوف أو غيره .

* ويقال : سَدِرت عينه ؛ إذا لم تكد تبصر .

* **الجهَر** : أن لا يُبصرَ نهارا .

* **العشا** : أن لا يبصر ليلا .

* **الخزر** : أن ينظر بمُؤْخِر عينه .

* **الغَضَن** : أن يكسر عينه حتى تتغضن جفونُه .

* **القَبَل** : أن يكون كأنه ينظر إلى أنفه ، وهو أهون من الحول ؛ قال الشاعر:

أشتهى فى الطَّفْلة القبَلا لا كثيرا يُشْبهُ الحَولاَ

* **الشطور** : أن تراه ينظر إليك ، وهو ينظر إلى غيرك ، وهو قريب من صفة الأحول الذى يقول متبجّحاً[1] بحوله :

حـمـدتُ إلهى إذْ بُليتُ بِحُـبِّـه

على حـولٍ أغنى عن النظر الشَّـزْر

نظرت إليـه والرقـيبُ يَخَـالنى

نظرتُ إليـه، فـاسـترحتُ من العُـذْر

(١) مُتبَجِّحًا : فخوراً به فرحا .

* **ويقال** : اسمدرّت عينه ؛ إذا لاحت لها سمادير (وهى ما يتراءى لها من أشباه الذُّباب وغيره عند خلل يتخللها) .

* **ويقال** : قَدعَتْ عينه ، إذا ضعفت من الإكباب على النظر .

* **ويقال** : حَرِجت عينُه ؛ إذا حارت ؛ قال ذو الرُّمة .

*** وتَحرَجُ العينُ فيها حين تنْتَقِبُ ***

* **ويقال** : هَجَمت عينُه ؛ إذا غارت . ونقنقت ؛ إذازاد غئورها ، وكذلك حجلت .

* **ويقال** : ذهبت عينه ؛ إذا رأت ذهبا كثيرا فحارت فيه .

* **ويقال** : شَخصت عينه ؛ إذا لم تكد تطرف من الحيرة .

(٥) ما جاء فى فقه اللغة عن تفصيل كيفية النظر وهيئاته فى اختلاف أحواله

* إذا نظر الإنسان إلى الشيء بمجامع عينه قيل : رَمَقَه .

* فإن نظر إليه من جانب أذنه ، قيل : لحَظَه .

* فإن نظر إليه بعجَلة ، قيل : لَمَحَه .

* فإن رماه ببصره من حدة نظره قيل : حَدَجَه بطرفه ، وفى حديث ابن مسعود – رضى الله عنه – «**حَدِّث القومَ ما حَدَجُوك بأبصارهم**[1] » .

* فإن نظر إليه بشدّة وحدّة قيل : أرشقه ، وأسَفّ النظر إليه .

وفى حديث الشعبى «**أنه كَرِهَ أن يُسِفّ الرجلُ نظره إلى أُمِّه وأُخْته وابنته**[2]» .

---

(١) ذكره ابن الأثير فى نهاية الغريب نقلا عن الهروى مادة «حدج» .

(٢) ذكره ابن الأثير فى نهاية الغريب نقلا عن الهروى مادة «سف» .

* فإن نظر إليه نظر المتعجب منه ، أو الكاره له ، أو المبغض إياه ، قيل : شَفَنَه ، وشَفَن إليه شُفُونًا ، وشَفْنًا .

* فإن أعاره لحظ العداوة قيل : نظر إليه شزْرًا .

* فإن نظر إليه بعينِ المحبة قيل نظر إليه نظرة ذى علَق .

* فإن نظر إليه نظر المستثْبِت ، قيل : توضَّحَه .

* فإن نظر إليه واضعا يدَه على حاجبه مُسْتَطلاً بها من الشمس ليستبين المنظور إليه قيل : استكَفّه ، واستوضحه ، واستشرفه .

* فإن نشر الثوب ورفعه لينظر إلى صفاقته ، أو سخافته ، أو يرى عَوَارًا إن كان به قيل : **استشفه** .

* فإن نظر إلى الشيء كاللمحة ثم خفي عنه قيل : **لاحه لوحةً** ، قال الشاعر : *** وهَلْ تنفعنّى لوحةٌ لو ألُوحُها؟ ***

* فإن نظر إلى جميع ما فى المكان حتى يعرفه قيل : **نَفَضَه نَفْضاً** .

* فإن نظر فى كتاب ، أو حساب ليهذبه ، أو ليستكشف صحته وسقمه قيل : **تصفحه** .

* فإن فتح جميع عينيه لشدة النظر ، قيل : **حَدّق** .

* فإن لألأهما قيل : **برَقَ عينيه** .

* فإن انقلب حملاق عينيه قيل : **حَمْلَق** .

* فإن غاب سواد عينيه من الفزع قيل : **بَرِق بَصَرُه** .

* فإن فتح عين مُفزَّع ، أو مهدد قيل : **حَمّج** .

* فإن بالغ فى فتحها وأحَدّ النظر عند الخوف قيل : **حَدَج وفَزِع** .

* فإن كسر عينه فى النظر قيل : **دنْقَسَ وطرفشَ** .

* فإن فتح عينيه وجعل لا يطرف قيل : **شخَصَ** ، وفى القرآن : ﴿ **فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ [**الأنبياء** : ٩٧] .

* فإن أدام النظر مع سكون ، قيل : **أسجد** .

* فإن نظر إلى أفق الهلال لليلته ليراه قيل : **تبَصّره** .

* فإن أتبع الشيء بصره قيل : **أتأره بصره** .

(٦) ما جاء في فقه اللغة في أدواء[١] العين

* الغمَص : أن لا تزال العين ترمَص .

* اللحج : أسوأ الغمص .

* اللخص : التصاق الجفون .

* العائر : الرمد الشديد ، وكذلك الساهك .

* الغَرْب : عند أئمة اللغة : ورم في المآقي . وهو عند الأطباء : أن ترشح مآقي العين ويسيل منها- إذا غمزت - صديد . وهو الناسور أيضا .

* السَّبَلُ عندهم : أن يكون على بياضها وسوادها شبه غشاء ينتسج بعروق حمر .

* الجسأ : أن يعسر على الإنسان فتح عينيه إذا انتبه من النوم .

* الظَّفر : ظهور الظَّفَرة ، وهي جليدة تغشّى العين من تلقاء المآقي ، وربما قطعت ، وإن تركت غشيتَ العين حتى تكل ، والأطباء يقولون لها : الظفرة ، وكأنها عربية بحتة .

* الطرفة عندهم : أن يحدث في العين نقطة حمراء من ضربة أو غيرها .

* الانتشار عندهم : أن يتسع ثقب الناظر حتى يلحق البياض من كل جانب .

* الحَثَرَ عند أهل اللغة : أن يخرج في العين حب أحمر ، وأظنه الذي يقول له الأطباء : الجرب .

* القمر : أن تعرض للعين فترة وفساد من كثرة النظر إلى الثلج .

يقال : قمرت عينه .

---

(١) الأدواء جمع داء ، ويطلق على أمراض الجسم والخلق .

(٧) ومما يناسب أدواء العين

* يقال : رجل **مُلَوّز العينين** إذا كانتا فى شكل اللوزتين .
* ويقال : رجل **مكوكب العينين** إذا كان فى سوادهما نقطة بياض .
* كما يقال رجل **شَقْذٌ** ، إذا كان شديد البصر سريع الإصابة بالعين .

(٨) ما جاء في فقه اللغة فى ترتيب البكاء

* إذا تهيأ الرجل للبكاء قيل : **أجهش** .
* فإن امتلأت عينه دموعا قيل : **اغرو رقت عينه وترقرقت** .
* فإن سالت قيل : **دمَعَتْ وهَمَعَت** .
* فإن حاكت دموعها المطر قيل : **هَمَتْ** .
* فإذا كان لبكائه صوت قيل : نحب ونشج .
* فإن صاح مع بكائه قيل : أَعْوَل .

(٩) فى وقوع اسم واحد على أشياء مختلفة

من ذلك :

* عين الشمس ، وعين الماء ، ويقال لكل واحد منهما : العين .
* والعَيْن : النقد من الدراهم ، والعين الدنانير .
* والعين : السحابة من قِبَل القبلة .
* والعين : مطر الأيام لا يُقلع .
* والعين : الدّيدَبان والجاسوس ، والرقيب ، وكلهم قريب من قريب .
* ويقال : فى الميزان عين ، إذا رجحت إحدى كفتيه على الأخرى .
* والعين عين الرَّكيَّة (البئر التى لم تُطْوَ) .
* وعين الشيء : نفسه .

* وعين الشيء : خيارُه .

* والعين الباصِرة ، وهي موضوع الكتاب .

* والعين مصدر عانه عَيْنًا .

وإليك إحدى الطرائف عن العين .. إنها قصيدة جمعت كل معانيها .

معانى العين فى قصيدة

جمعها الشيخ بهاء الدين السبكى فى قصيده يهنئ فيها أخاه قاضى القضاة بالتدريس فيقول :

١- هنيـــئـــا قـــد أقـــرّ الله عـــينى
فـــلارَمَتِ العِـــدَا أَهْلِى بِعَـــيْنِى

٢- وقـدْ وافى المُبَـشِّـر لى فَـأكـرِمْ
بخـــيـــــر رَبِيـــئـــةٍ وافَى وعَينِ

٣- يُخَـــبِّـــرُنى بأن أخـــاه أتاه
مُناه ، وســـعـــدُه من كل عَين

٤- فلو سـمح الزَّمَـانُ لكنتُ أُعْطى
له مـــا فـــيـــه من وَرِق وعَـــيْن

٥- ألا ياشـامـةَ الشـام افـتـخـارًا
بمن بسناه يغـــشـــو كل عين

٦- بمن بركـــاتُه ظهـــرت فنارت
بهـا الدنيـا ، وحـفّت كُلَّ عَـيْن

---

(١) أقر الله عينه : أى أعطاه حتى تقر فلا تطمح إلى من هو فوقه ، ويقال : حتى تبرد ولا تسخن فللسرور دمعة باردة ، وللحزن دمعة حارة . والمراد بقوله : بعين : الإصابة بالعين وهى الحسد .

(٢) الربيئة : الطليعة .والعين : الديدبان الكاشف المتطلع وهو الجاسوس .

(٣) من كل عين : من كل ناحية .

(٤) العين : الذهب . والوَرِق : الفضة .

(٥) السنا : الضوء ، وكل عين : كل أحد .

(٦) كل عين : أهل الدار .

٧- فـتَى إن عُـدّتِ الأعـيـانُ قـالت
لـه الأيامُ : إنـك أنـت عـــــيـنـى
٨- وحَـبْـرٌكم حـوَى من بَحْـرِ عِلم
يـروى الـطـالـبـين بـكـل عـين
٩- ويلقى فى العلوم لكل وفـــدٍ
غـــزير فـــوائدَ كـــغـــدير عين
١٠- وواسطةٌ لِعـقـــدِ بنى أبيـــه
كـــــأوسط لـفـظـةِ تُدْعَى بعين
١١- وقـاضٍ أمـرُه فى الناس مـاضٍ
فـلا يخـشى من اسـتـقـبـال عين
١٢- وينصبُ بينهم قـسطاسَ حقّ
خلت من كل تطفـــــيف وعين
١٣- لـه نـوران مـن ورَعٍ وعِـلـمٍ
تخـالهـمـا كـبـدرِ دُجَى وعَين
١٤- يُصَـيّـر عـدلُه ذا المَطْلِ عـدلا
ويجـعلُ كلَّ دَيْن مَـحْضَ عَـيْن
١٥- ويحـجب عن تأمله ضـيـاءٌ
كـمـا حـجبَ الغـزالةَ ضـوءُ عين

---

(٧) عينى : الأشرف . مفرد الأعيان ، وهم الشرفاء .
(٨) عين : الماء الجارى .
(٩) عين : ينبوع الماء .
(١٠) عين الكلمة : وسطها من الميزان «فَعَل» .
(١١) عين : جاسوس .
(١٢) العين فى الميزان : الميل والعيب .
(١٣) العين : الشمس .
(١٤) العين : النقد الحاضر .
(١٥) ضوء عين : شعاع الشمس .

١٦- لئن شرُفت دمشقُ به ومِصْرٌ
فقد سارت محاسنُه لعين

١٧- وتعظُم كلُّ أرضٍ حلّ فيها
ولو حقرت حقارة رأسِ عين

١٨- يجود بكل ما فى راحتيه
إذا بخلت بنو الدنيا بعين

١٩- ويُوسِعُ للورى بادِى القِرى إن
مزارة غيرِه شحّت بعين

٢٠- وعَمّ نداهُ فى شرقٍ وغربٍ
فلم يُحْوج إلى ساقٍ وعينِ

٢١- جمالَ الدين فضلُك ليس يُحْصى
فدونَك قطرةً من سُحبِ عينى

٢٢- برغمى أن أُهنّى عن بِعادٍ
وحَقّى أن أجيءَ لكم بعينى

٢٣- ومُذْ سفهُ المعيشة غيبتنى
وراسِك لم أَفُزْ فيها بعَيْن

٢٤- ولوَ اسْتَطِيعُ جئت ولو جُثِيّا
على رُكَبِى إليك بكلّ عَيْن

٢٥- ولولا ما أَرومُ من التلاقى
لأذهب بينكم نفسى وعينى

---

(١٦) لعين : قبلة العراق .
(١٧) رأس عين : بلد بين حران ونصيبين .
(١٨) العين : الدينار .
(١٩) بعين : أى بالنظر .
(٢٠) العين : السيد الشريف .
(٢١) العين : مطر أيام لا يقلع .
(٢٢) بعينى : بنفسى .
(٢٣) العين : المعاينة والنظر .
(٢٤) العين : النقرة فى الركبة .
(٢٥) عينى : شخصى .

٢٦- وكنت كعين قِطْر سال قِدْمًا
فـمـا أزكى وأحـسن سـيل عـينى

٢٧- مـتى ألقـاكمُ فى عين شـمس
وقـــد حَلّت ركـــابكمُ بعين

٢٨- وهَنٌ أخـــاك تاجَ الدين عَنّى
فـــإن كليكمـــا خِلّى وعـــينى

٢٩- وقـومـا وادعُـوَا لأبيكمـا إذْ
لـنـا مـنـه أبَـرُّ أبٍ وعـينِ

٣٠- به زكتِ الفُـروعُ وطاب منهـا
غـصـونٌ أخـرجـتـهـا خـيـر عين

٣١- فـدام بقـاؤه مـا لاح برق
وأطربَ صـوت قُـمـرىّ وعينِ

٣٢- ولازالت أعـــاديه تردى
بكل مَـذَلّةٍ ، وبكل عَـيْنِ

٣٣- ومن ينظرْ إليـه بعين سُـوءٍ
يقـابلُه الإلهُ بكلّ عَـيْنِ

٣٤- وقد جَمعتْ معانِى العين طُرّا
قـصـيـدى لم تَدعْ مـعنًى لعين

---

(٢٦) العين : عين القطر .
(٢٨) عينى : أخى الشقيق .
(٣٠) العين : مصب ماء القناة .
(٣٢) لعلها بكل سوء وبكل ضرر .
(٣٤) العين : اللفظ المشترك .
(٢٧) العين : قرية قرب مصر .
(٢٩) العين : المراد بها الأصل .
(٣١) العين : طائر معروف .
(٣٣) العين : الجلدة التى يقع فيها البندق .

٣٥- فلو عاش الخليلُ لقال : هَذِى
مـــعـــانٍ مـــارأتْهـــا قطُّ عـــينى
٣٦- وقـد ضـاقت قـوافـيـهـا ورثّتْ
وذلك لالتـــــزامى لـفـظَ عَـــــيْن
٣٧- ولو لـم ألتـــزم هـذا لفَـــاقت
قـــصـــيـــدَ أديبٍ ارضى الجـــامـــعين
٣٨- ولولا ذا لطاب لهـــا خـــتـــام
بذكـــرِ مليكِهـــا القـــاضى الحُـــسَيْنْ

---

(٣٥) العين : كتاب فى اللغة للخليل اسمه «العين» .

(٣٦) مجرد اللفظ ، وهو عين المشترك عند التأمل والتحقيق ، وفى أنوار الربيع : (ركت) مكان (رثت) .

(٣٨) هو شمس الدين محمد بن أحمد كان عالما فقيها محدثا سريع الحفظ .

العين فى القرآن الكريم

جاء فى «معجم ألفاظ القرآن الكريم» الذى أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة (مادة) :

ع ى ن

(عَيْن – الْعَيْن – عَيْناً – عَيْنُها – عَيْنى – عَيْنَاكَ – عَيْنَانِ – عَيْنَاهُ – عَيْنَيْكَ – عَيْنَيْنِ – عُيُون – الْعُيون – عُيونًا – أَعْيُن – الأَعْيُن – أعينكم – أعيننا – أعينهم – أعينهنّ – عين – معين) .

يمكن أن ترد المادة إلى العين : عضو البصر ، وتجمع على أعين وعيون ، ومنها تجىء معان فى الحفظ والكلاءة ، ومن الإبصار للمحفوظ وللغبطة والسرور؛ قرار العين ، والعَيْناء : حسنة العين وجمعها عِين ، فى وصف بقر الوحش والنساء .

ومن العَين الباصرة قالوا : عين الماء تشبيها لصفائها ومائها . ومنها : ماء مَعين : ظاهر للعيون ، وقيل : الميم فيه أصلية وهو من معَنت .. ومن العيون ما يسيل بغير الماء كعين القطر .

وهذه المعانى(*) هى التى استعملها القرآن فى : عيْن[٦] : «**تغرب فى عين حَمِئَة**» ٨٦/الكهف ؛ للجارية بالماء أو غيره ، وكذلك ما فى قوله تعالى : «**عينَ القطر**» ١٢/سبأ ، : «**عين آنية**» ٥/الغاشية ، : «**عين جارية**» ١٢/الغاشية، : «**قرة عين لى ولك**» ٩/القصص ؛ هى للباصرة بمعنى السرور ، وفى قوله تعالى، : «**عين اليقين**» ٧/التكاثر ؛ للتأكيد ؛ أى التى هى نفس اليقين .

الْعَيْن[٣] : «**رأى العين**» ١٢/آل عمران؛ هى للباصرة ، وكذلك مافى ٤٥ «مكررة» / المائدة .

عَيْنًا [٦]: «**وقَرِّى عينا**» ٢٦/مريم ؛ للباصرة ؛ بمعنى السرور ، وفى قوله

(*) الرقم بجوار الكلمة يفيد عدد مرات ورودها فى القرآن الكريم .

تعالى : «**اثنتا عشرة عينا**» ٦٠/البقرة ؛ للجارية ، واللفظ فى ١٦٠/ الأعراف و١٨/٦ / الإنسان و ٢٨/ المطففين .

عَيْنُهَا [٢] : «**كَيْ تَقَرَّ عينُها**» ٤٠/طه ؛ للباصرة و ١٣/ القصص .

عَيْنِى [١]: «**ولِتُصْنَعَ على عينى**» ٣٩ / طه ؛ للباصرة .

عَيْنَاكَ [١]: «**ولا تَعْدُ عيناك عنهم**» ٢٨/ الكهف ؛ للباصرة .

عَيْنَانِ [١]: «**فيهما عينان**» ٥٠/٦٦/الرحمن ؛ للجارية .

عَيْنَاهُ [١] : «**وابْيَضَّتْ عيناه**» ٨٤/يوسف؛ للباصرة .

عَيْنَيْكَ [٢] : «**لا تَمُدَّنَّ عينيك**» ٨٨/الحجر؛ للباصرة و ١٣١/طه .

عَيْنَيْنِ [١] : «**ألم نجعل له عينين**» ٨/البلد؛ للباصرة .

عُيُونٍ [٨] : «**جنات وعيون**» ٤٥/الحجر؛ الجارية واللفظ فى ٥٧/١٣٤/١٤٧/ الشعراء و ٢٥/٥٢ الدخان و ١٥/الذاريات و ٤١/المرسلات.

الْعُيُونِ [١] : «**فيها من العيون**» ٣٤/يس؛ للجارية .

عُيُونًا [١] : «**وفَجَّرْنَا الأرض عيونا**» ١٢/ القمر ؛ للجارية .

أَعْيُنَ [٦]: «**سَحَرو أعين الناس**» ١١٦/ الأعراف ؛ للباصرة ، وكذلك مافى ١٧٩/١٩٥/ الأعراف و ٦١/ الأنبياء و ٧٤ الفرقان و ١٧/ السجدة .

الأَعْيُنِ [٢] : «**يعلم خَائِنَةَ الأعين**» ١٩/ غافر؛ للباصرة ، ومثله : مافى ٧١/ الزخرف .

أَعْيُنِكُمْ [٢]: «**وإذ يُريكموهم إذ الْتَقَيْتُمْ فى أعينكم قليلا**» ٤٤/ الأنفال ؛ للباصرة ، واللفظ فى ٣١/هود .

أَعْيُننا [٤]: «**واصنع الفلك بأعيننا**» ٣٧/ هود؛ للباصرة ، واللفظ فى ٢٧/المؤمنون و ٤٨/ الطور و ١٤/ القمر .

أَعْيُنَهُمْ [٧]: «**ترى أعينهم**» ٨٣/ المائدة ؛ للباصرة ، واللفظ فى ٤٤/الأنفال و ٩٢/ التوبة و ١٠١ / الكهف و ١٩/ الأحزاب و ٦٦/ يس و٣٧/ القمر .

أَعْيُنُهُنَّ [١] : «**ذلك أدْنَى أن تَقَرَّ أعينهن**» ٥١/الأحزاب ؛ للباصرة .

عينٌ [٤] : «**قاصرات الطرف عين**» ٤٨/ الصافات ؛ وصف نساء ، واللفظ فى ٥٤/ الدخان و ٢٠/ الطور و ٢٢/ الواقعة .

مَعينٍ [٤] : «**ذات قَرار ومعين**» ٥٠ / المؤمنون ؛ للماء الظاهر ، واللفظ فى ٤٥/ الصافات و ١٨ الواقعة و ٣٠ / الملك .

العين فى غريب الحديث

ولا يفوتنا أن نقف وقفة مع غريب الحديث استكمالا لهذا البحث .. جاء فى الجزء الثالث من النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير :

* وفى الحديث نقلا عن أبى موسى أنه ﷺ «**بعث بَسْبَسَةَ «عينا» يوم بدر**» ، أى : جاسوسا ، واعتان له : إذا أتاه بالخبر .

* ومنه حديث الحديبية : «**كان اللهُ قَدْ قَطَع «عينا» من المشركين**» .

أى كفى الله منهم من كان يرصدنا ، ويتجسَّسُ علينا أخبارنا .

* وفيه نقلا عن أبى موسى : «**خير المال عين ساهرة لعين نائمة**» . أراد عين الماء التى تجرى ، ولا تنقطع ليلا ونهاراً ، وعين صاحبها نائمة ، فجعل السَّهر مثلا لجريها .

* وفيه نقلا عن الهروى : «**إذا نشأت بَحْرِيّة ، ثم تشاءمت فتلك عين غُدَيْقَة**» . العين اسم لما عِن يمين قبلة العراق ، وذلك يكون أخلق للمطر فى العادة ، تقول العرب : مُطِرْنا بالعين .

وقيل : العين من السحاب : ما أقبل عن القبلة ، وذلك الصُّقْع يسمى العين.

وقوله : تشاءمت ، أى : أخذت نحو الشام ، والضمير فى «نشأت» للسحابة؛ فتكون «بحرية» منصوبة ، أو للبحرية ، فتكون مرفوعة .

* وفيه عن أبى موسى : «**أن موسى – عليه السلام – فقأ عين ملَك الموت بصكَّه صكة**» . قيل : أغلظ له فى القول ؛ يقال : أتيته فلطم وجهى بكلام غليظ .

والكلام الذى قاله له موسى – عليه السلام – قال له : أحرج عليك أن تدنو منى ، فإنى أحرج دارى ومنزلى ، فجعل هذا تغليظا من موسى له تشبيها بفقء العين .

وقيل : هذا الحديث مما يؤمن به وبأمثاله ، ولا يُدْخَل فى كيفيته .

* وفى حديث عمر نقلا عن الهروى «**أن رجلا كان ينظر فى الطواف إلى حُرَمِ المسلمين ، فلطمه علىّ ، فاستعدى عليه عمر ، فقال : ضربك بحق أصابته عين من عيون الله**» أراد : خاصة من خواص الله ، ووليا من أوليائه .

* وفيه : «**العين حق ، وإذا استُغْسلتم فاغسلوا**» .

ويقال : أصابت فلانا عين : إذا نظر إليه عدو أو حسود ، فأثرت فيه فمرض بسببها .

يقال : عَانه ، يَعينه عينا ؛ فهو عائن ؛ إذا أصابه بالعين ، والمصاب مَعين .

* ومنه الحديث : «**كان يؤمر العائن ، فيتوضأ ، ثم يغتسل منه المَعين**» .

* ومن الحديث : «**لا رقية إلا من عينٍ أو حُمَة**» . تخصيصه العين والحُمَة لا يمنع جواز الرُّقية فى غيرهما من الأمراض ، لأنه أمر بالرقية مطلقا . ورقى بعضُ أصحابه من غيرهما . وإنما معناه : لا رقية أولى وأنفع من رقية العين، والحمة» .

* وفى حديث على «**أنه قاسَ العينَ ببيضةٍ جعل عليها خطوطا وأراها إياه**» . وذلك فى العين تضرب بشىء يضعف منه بصرها ، فيتعرف ما نقص منها ببيضة يخطُّ عليها خطوط سود أو غيرها ، وتنصب على مسافة تدركها العين الصحيحة ، ثم تنصب على مسافة تدركها العين العليلة ، ويعرف ما بين المسافتين ، فيكون ما يلزم الجانى بنسبة ذلك من الدية . (وهذا كما نراه عند أطباء العيون لقياس النظر فى أيامنا هذه من لوحة تحمل العلامات) .

* وقال ابن عباس : لا تقاس العين فى يوم غيم ؛ لأن الضوء يختلف يوم الغيم فى الساعة الواحدة ، فلا يصح القياس .

* وفيه : «**إن فى الجنة لمجتمعا للحور العين**» . العِين : جمع عيناء ، وهى الواسعة العين . والرجل أعين .

وأصل جمعها بضم العين ، فكسرت لأجل الياء كأبيض وبيض .

* ومنه الحديث : «**أمر الرسول ﷺ بقتل الكلاب العِين**» جمع أعين .

* وحديث اللعان : «**إن جاءت به أعين أدعج**» .

* وفى حديث الحجاج قال للحسن :

«**والله لَعَيْنُك أكبر من أمدك**» أى : شاهدك ومنظرك أكبر من أمدِ عمرك . وعين كل شىء : شاهده وحاضره .

* وفى حديث عائشة : «**اللهم عَيِّن على سارق أبى بكر**» أى : أظهر عليه سرقته . يقال : عينت على السارق تعيينا إذا خصصته من بين المتهمين من عين الشىء : نفسه وذاته .

* ومنه الحديث : «**أوْهِ عين الربا**» ، أى : ذاته ونفسه ، وقد تكرر فى الحديث .

* وفى حديث على عن الهروى : «**أن أعيان بنى الأم يتوارثون دون بنِي العَلاّت**» . الأعيان : الإخوة لأب واحد ، وأم واحدة ، مأخوذ من «عين الشىء» وهو النفيس منه . وبنو العَلاّت لأب واحد ، وأمهات شتى .

فإذا كانوا لأم واحدة ، وآباء شتى ، فهم الأخياف .

* وفى حديث ابن عباس : «**أنه كره العينَة**» هو أن يبيع من رجل سلعة بثمن معلوم إلى أجل مسمى ثم يشتريها منه بأقل من الثمن الذى باعها به .

* فإن اشترى بحضرة طالب العينة سلعة من آخر بثمن معلوم ، وقبضها ، ثم باعها المشترى من البائع الأول بالنقد بأقل من الثمن ، فهذه أيضا عينة ، وهى أهون من الأولى .

* وسميت عينة لحصول النقد لصاحب العينة ؛ لأن العين هو المال الحاضر من النقد ، والمشترى إنما يشتريها ليبيعها بعين حاضرة تصل إليه معجلة .

* وفى حديث عثمان – عن أبى موسى – «**قال له عبد الرحمن بن عوف يعرّض به : إنى لم أفرّ يوم عينين ، فقال له : لم تعيرنى بذنب قد عفا الله عنه ؟!**

«**عينان**» اسم جبل بأُحد ، يقال ليوم أحد : يوم عينين» وهو الجبل الذى أقام عليه الرماة يومئذ .

وبعد .. فلم يبقَ إلا بعض اللغويات لنحيط بها علما :

الرؤية والرؤيا

هناك فرق لغوى بين «الرؤية» بالتاء المربوطة ، و«الرؤيا» بالألف المقصورة .

فالرؤية : إبصار الشىء ، ولهذا يقال لإبصار الهلال لأول مرة : «الرؤية» ؛ وفى الحديث : «**صوموا لرؤيته**[1] » .

أما الرؤيا ؛ فهى ما يُرَى فى النوم ، وجمعها : رُؤى .

الكناية عن الأعمى والأعور

جاء فى كتاب «**الكناية والتعريض**» للثعالبى فى فصل عنوانه : **الكناية عن عدة عاهات**» ما يأتى :

١ - الكناية عن الأعمى :

يكنى عن الأعمى بالمحجوب ، وفى ذلك يقول عثمان بن الوليد بن عقبة :

لعمرى لئن أمست علىّ عماية
لقد رُزق الإبصار قبلى الأكارمُ
وقد عاش محجوبًا أُميةُ وابنه
أبونا أبو عمرٍو وحرب وهاشمُ

بم اعتذر أبو العيناء ؟

ولما أراد المتوكل أبا العيناء على مِنادمته ، قال له : يا أميرَ المؤمنين «أنا محجوب» ، والمحجوب يجور قصده ، ويُقْبِل على من لا يقبل عليه .

---

(١) قال العجلونى : ورد من طرق بألفاظ مختلفة : منها ما رواه الشيخان والنسائى والبيهقى . وتمامه: «**فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما**» [العجلونى ج ٢ رقم ١٦٣٠] .

وكل من فى مجلسك يخدم ، وأنا أحتاج أن أُخدم فيه !

٢- الكناية عن الأعور :

ويكنى عن الأعور بالممتع .

والذى فى عينه نقطة بياض بالكوكبى ، والمكوكب[١] .

الكنايات العامية

جاء فى «**كتاب الكنايات العامية**» للعلامة المحقق : أحمد تيمور باشا - «حرف العين» :

١- «العين الحمرة» - أى الحمراء ، يقولون : (وَرّاه العين الحمرة) : أى : أظهر له العين الحمراء .

والمراد : نظر إليه نظر الغضب والشدة .

٢- «عينهُ فيه» - كناية عن تطلع النفس إلى الشىء وتعلقها به .

٣- وهم يقولون للشىء يؤخذ غصبا : «**طِلع من عينه**» .

٤- «عبنى عينَك» كناية عن الجهر بين الناس ، يقولون : كلمته عينى عينك ؛ أىَ لم أُخْفِ عليه شيئا ، وأظهرت له ما بنفسى .

٥- وجاء فى أمثالهم : «**على عينك ياتاجر**» . .

بعض الأمثال التى وردت في العين

قالوا :

١- «**غُرّة بين عَيْنَىْ ذى رحم**» .

الغُرّة (بضم الغين) : بياض فى الجبهة . يضرب لمن لا يخفى وُدّه ونصحه .

٢- «**عينُ الهوى لا تصدُق**» .

يضرب فى ضلال الغرض .

---

(١) الكوكب والكوكبة : بياض فى العين . أبو زيد : البياض فى سواد العين ذهب البصر له أو لم يذهب.

٣- «**عين عَرَفت فذرفت**» .

يضرب لمن رأى الأمر ، فعرف حقيقته .

٤- «**عينك عَبْرَى والفؤاد فى دَدٍ**» .

الدَّدُ : اللهو واللعب . وعين عَبرَى : أى باكية .

يضرب لمن يظهر حزنا لحزنك ، وفى قلبه خلاف ذلك .

٥- «**نظرة من ذى عَلَق**» .

ذى علَق : أى : ذى مودة . يضرب فى نظر المحب .

٦- «**بعينٍ مَّا أرينّك**» .

معناه: عجّل حتى أكون كأنى أنظر إليك بعينى. يضرب فى إحكام المتابعة والمراقبة .

٧- «**لا أطلبُ أثرًا بعد عين**» .

العين :المعاينة. معناه:لا أترك الشىء وأنا أعاينه وأطلب أثره بعد أن يغيب عنى.

وأصله : أن رجلا رأى قاتل أخيه ، فلما أراد قتله ، قال : أَفتدى بمائة ناقة. فقال : لست أطلب أثرا بعد عين وقتله .

٨- «**إن عينا واحدة بصيرة تقود ألف أعمى**» .

يضرب لأثر العلماء والمصلحين والفلاسفة والهداة فى أمتهم .

٩- «**إن الجوادَ عينُه فِراُه**» .

عينهُ : شاهدُه . وفِراه : أى إذا رأيته تفرست فيه الجودة من غير أن تفرّه عن عدو أو غير ذلك .

١٠- «**إذا جاء الحَيْن حارت العين**» .

الحَيْن : الهلاك . يضرب عند وقوع المحذور .

والحمد لله أولا وأخيرا .